

تفسير البحر المحيط

. @ 51 @ .

هذه السورة مكية بلا خلاف . ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة ، لأنه قال : { وَمَا تَنْزِيلُ لَتِ بِهِ الشَّيَاطِينُ } ، وقبله : { وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وقال هنا : { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ } : أي الذي هو تنزيل رب العالمين . وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم ، لأن المضاف إلى العظيم عظيم . والكتاب المبين ، إما اللوح ، وإبانته أن قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين ، وإما السورة ، وإما القرآن ، وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع . وأن إعجازهما ظاهر مكشوف ونكر . { وَكِتَابٌ مُبِينٌ } ، ليبهم بالتنكير ، فيكون أفخم له كقوله : { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ } . وإذا أريد به القرآن ، فعطفه من عطف إحدى الصفتين على الأخرى ، لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة ، من حيث أن مدلول القرآن الاجتماع ، ومدلول كتاب الكتابة . وقيل : القرآن والكتاب اسمان علما على المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) ، فحيث جاء بلفظ التعريف ، فهو العلم ، وحيث جاء بوصف النكرة ، فهو الوصف ، وقيل : هما يجريان مجرى العباس ، وعباس فهو في الحالين اسم العلم . انتهى . وهذا خطأ ، إذ لو كان حاله نزع منه علماً ، ما جاز أن يوصف بالنكرة . ألا ترى إلى قوله : { وَكِتَابٌ مُبِينٌ } ، { الرَّ تِلْكَ } ، وأنت لا تقول : مررت بعباس قائم ، تريد به الوصف ؟ وقرأ ابن أبي عبله : وكتاب مبين ، برفعهما ، التقدير : وآيات كتاب ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، فأعرب بإعرابه . وهنا تقدم القرآن على الكتاب ، وفي الحجر عكسه ، ولا يظهر فرق ، وهذا كالمعاطفين في نحو : ما جاء زيد وعمرو . فتارة يظهر ترجيح كقوله : { شَهِدَ اللَّهُ } أَنْزَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْأَلَمَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأُولُو الْأَلَمِ * الْعِلْمِ } ، وتارة لا يظهر كقوله : { وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا } . . .

قال يحيى بن سلام : { هُدًى } إلى الجنة ، { وَبُشْرَى } بالثواب . وقال الشعبي : هدى من الضلال ، وبشرى بالجنة ، وهدى وبشرى مقصوران ، فاحتمل أن يكونا منصوبين على الحال ، أي هادية ومبشرة . قيل : والعامل في الحال ما في تلك من معنى الإشارة ، واحتمل أن يكونا مصدرين ، واحتملا الرفع على إضمار مبتدأ . أي هي هدى وبشرى ؛ أو على البديل من آيات ؛ أو على خبر بعد خبر ، أي جمعت بين كونها آيات وهدى وبشرى . ومعنى كونها هدى للمؤمنين : زيادة هداهم . قال تعالى : { وَإِذْ آمَنَّا أَنْزَلَتْ سُورَةُ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ }

. وقيل : هدى لجميع الخلق ، ويكون الهدى بمعنى الدلالة والإرشاد والتبيين ، لا بمعنى
تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال . { وَبُشِّرَىٰ لِلْعِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ } خاصة ، وقيل : هدى
للمؤمنين وبشرى للمؤمنين ، وخصهم بالذكر لانتفاعهم به . .
{ وَهَٰؤُلَاءِ الْآخِرَةُ هُمْ يُوَفِّيهِمْ } : تحتل هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة
{ الَّذِينَ } . ولما كان : { يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ } مما يتجدد ولا
يستغرق الأزمان ، جاءت الصلة فعلاً . ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر
الديمومة ، جاءت الجملة اسمية ، وأكدت المسند إليه فيها بتكراره ، فقيل : {
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوَفِّيهِمْ } وجاء خبر المبتدأ فعلاً ليدل على الديمومة ، واحتمل أن
تكون الجملة استئناف إخبار . قال الزمخشري : ويحتمل أن تتم الصلة عنده ، أي عند قوله :
{ وَهَٰؤُلَاءِ } ، قال : وتكون الجملة اعتراضية ، كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ، وهو الوجه ، ويدل عليه أنه
عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم ، حتى صار معناها : وما يوقن بالآخرة
حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح ، لأن خوف العقاب يحملهم على
تحمل المشاق . انتهى . وقوله : وتكون الجملة اعتراضية ، هو على غير اصطلاح النحاة في
الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع إلا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض ، كوقوعها بين صلة
موصول ، وبين جزأي إسناد ، وبين شرط وجزائه ، وبين نعت ومنعوت ، وبين